الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

السنة الثالثة تاريخ

محاضرات مقياس: مصادر تاريخ الجزائر

الباب الأول/

مصادر تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م

أستاذ المقياس:

د/ راجعي عبد العزيز

السنة الجامعية: 2024/2023

المحاضرة رقم 04:

الكتابات الأجنبية أثناء التواجد العثماني بالجزائر

مقدمة:

تعد فترة التواجد العثماني في الجزائر فترة تاريخية مهمة بالنسبة لمختلف الباحثين، وهذا نظرا للزخم الكبير للأحداث التي عرفتها الجزائر طيلة ثلاثة قرون (1518-1830م)، فهي بذلك قبلة للبحث والتنقيب عن ماضي أمتنا وتاريخها العريق.

لم يقتصر اهتمام الباحثين والدارسين للفترة العثمانية في بحوثهم على المصادر المحلية من مخطوطات وكتب وغيرها فقط؛ بل تعدى ذلك ليشمل المصادر الأجنبية التي عبرت عنها بعض الكتابات والرحالات والتقارير ...الخ، من طرف الأجانب ولاسيما الفرنسيين والاسبانيين. لكن السؤال المطروح في هذا السياق، ماهي الأسباب الكامنة وراء وجود الكتابات الأجنبية الخاصة بتاريخ الجزائر العثماني؟

1. الخلفية التاريخية للكتابات الأجنبية خلال الفترة العثمانية:

هناك العديد من الدوافع التي كانت سببا في وجود الكتابات الأجنبية وسببا في تنوعها شكلا ومضمونا نوجزها فيما يلي:

أولا/ الدوافع السياسية:

- انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية جعل منها دولة ذات مكانة دولية مرموقة نتيجة نشاطها البحري.

- الهيمنة الجزائرية على الضفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط جعلها محل عداء من طرف الدول الأوربية المسيحية، التي سعت إلى التخلص من هذه الهيمنة والتفكير في احتلال الجزائر عبر ارسال الجواسيس واعتماد القناصلة وحتى الأسرى في الحصول على معلومات عامة ومفصلة عن الإيالة تكون في شكل تقارير ومذكرات.

- استغلت كذلك الدول الأوربية علاقتها الحسنة مع الجزائر العثمانية في الاستعانة ببعض الجواسيس في شكل رحالة وبعض الأطباء ودارسي الآثار القاطنين بالمدن الساحلية وجمع أكبر كم من المعلومات عن مدينة الجزائر وما جاورها، ومثال ذلك: الضابط بوتان 1808م الذي أعد تقريرا مفصلا عن مدينة الجزائر والذي يعد مصدرا مهما من مصادر الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر سنة 1830م.

ثانيا/ الدوافع الثقافية والعلمية:

- رغبة الأوربي في التعرف على الآخر سواء من باب الترفيه أو الاكتشاف، على غرار "وليام لايتغو" وكتابه (رحلة الى الجزائر) في الربع الأول من ق 19م.

- شكلت الإيالة الجزائر مجال حيوي للكثير من الأطباء والعلماء الأجانب الذين وفدوا اليها قصد تطوير معارفهم من خلال دراسة سكانها وطبيعتها وحيوانها ومختلف الأوبئة ...الخ. نذكر على سبيل المثال: الرحالة الفرنسي "جون أندري باسيونال"، الذي أرسل في مهمة من طرف اكاديمية العلوم بباريس لإنجاز دراسة عن المرجان ومرض الطاعون، كان له كتاب عنوانه (رحالة على سواحل بربارية) تضمن معلومات عديدة وقيمة عن الجزائر.

ثالثا/ الدوافع الدينية:

توظيف رجال الدين والآباء الأوربيين من طرف بلدانهم لإسترجاع التجار الأسرى لدى البحرية الجزائرية، دفع بهم إلى كتابة مؤلفات عدة تحدثوا فيها عن الجزائر وقدموا صورة مريعة من أجل دفع المجتمعات المسيحية لإيجاد حل لمشكلة الاسترقاق التي تدفع بهم الى اعتناق الإسلام على حد زعمهم. ومن بين هذه المؤلفات: تاريخ بربارية وقراصنتها ومملكاتها مدن الجزائر وتونس وطرابلس، خصص فيه الجزء الخامس للحديث عن معاناة الاسرى الأوربيين.

2. خصائص الكتابات الأجنبية:

بناء على ما سبق، نستنتج أن الكتابات الأجنبية قائمة على إيديولوجيات استمدت أصولها من الصراع التقليدي الذي جمع بين العالم الإسلامي والمسيحي، الأمر الذي فرض على أوروبا ضرورة القضاء على الإسلام والمسلمين، وعليه نجدها – الكتابات الأجنبية- تميزت بما يلي:

- دعت للقضاء على الدولة العثمانية من خلال وضع مخططات.
- تبني أحكام مسبقة تجاه المسلمين.
- احتقار المسلمين ونعتهم بأبشع الألقاب.
- وصف الجهاد البحري بالعمل اللصوصي.

رغم هذا تبقى الكتابات الأجنبية مصدرا مهما وجب الرجوع اليها لما تحتويه على جوانب عدة من تاريخنا المجهول، لكن بشيء من الحذر.

3. نماذج لبعض الكتابات الأجنبية:

أ/ كتابات الرحالة:

- رحلة توماس هيز **thomas hees** الموسومة بـ: يوميات رحلة إلى الجزائر بين 1675- 1676م.

ب/ كتابات المبعوثين السياسيين:

- جون ميشال فونتير دوبارادي: وهو دبلوماسي ولد في 1739/05/08م بمرسيليا، درس لغات الشرقية والعربية واللاتينية بمعهد اللغات الشرقية، أرسل من طرف فرنسا سنة 1788م لحكومة الجزائر لتسوية بعض المسائل العالقة بين البلدين. ألف كتابه: الجزائر خلال القرن الثامن عشر، تحدث فيه تشكيل حكومة الجزائر وسكانها وعلاقتها بالسلطة العثمانية وعن مختلف الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والتجارة والصناعة وحتى العسكرية.

ج/ كتابات رجال الدين:

- الأب دان: شمل مؤلفه ستة كتب مقسمة على 74 فصلا، تكلم فيها عن شمال أفريقيا عموما وخصص جزئه الثاني للحديث عن ايالة أوضاع الجزائر ومدينتها ودورها في عملية القرصنة، وما يهمنا في هذا المؤلف هو التركيز على معاناة الأسرى لدى الجزائريين وخطر اعتناقهم الإسلام ووجوب تحريرهم.

ت/ كتابات الأسرى:

- وهي كثيرة ، من بينهم "تيدينا" الذي أسر سنة 1779م وبيع في أسواق مدينة الجزائر ليهودي ثم بيع مرة ثانية الى وكيل باي معسكر محمد بن عثمان باشا 1779-1797م، خدمه لمدة 03 سنوات ليصبح خزندار "باي محمد الكبير"، وبعد فك أسره عاد الى فرنسا وشغل مهام دبلوماسية وألف مذكرات موسومة بـ: نظرة على ايالة الجزائر. وهي عبارة مشروع جوسسة الغاية منه احتلال الجزائر. ترجم هذا المؤلف الى العربية من طرف عميراوي حميدة تحت عنوان: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني- مذكرات تيدينا أنموذجا.

ث/ المذكرات الشخصية:

- وهي كثيرة كذلك، نذكر منها مذكرات "سيمون بفايفر" بعنوان: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تحدث فيه عن العلاقات الفرنسية الجزائرية، وصف المعركة البحرية بين الجزائر وفرنسا، حملة سيدي فرج، كما تحدث عن مؤامرة التي حاكها الإنكشارية بهدف الإطاحة بالداي...الخ. وتعتبر هذه المذكرات مصدرا مهما في دراسة تاريخ الجزائر أواخر الفترة العثمانية.

الخاتمة:

تعد الكتابات الأجنبية مصدرا هاما وجب الرجوع اليه في الدارسات التاريخية للفترة الحديثة، ذلك انها ساهمت بشكل أو بآخر في إثراء التاريخ الجزائري، فالكتابات الأوربية متنوعة وقد شملت جوانب عديدة، سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية، كما تطرقت لعلاقات الجزائر الخارجية وغيرها. تبقى

مسألة الأخذ بنوع من التحري والتدقيق في المعلومة ومقارنتها بباقي المصادر، لأنها مصادر معبرة عن نظرة الآخر وهي نظرة احتلال تدخل في سياق الصراع التقليدي بين العالم الإسلامي والمسيحي.